سلسلة

بطولات النبي ﷺ

ابن حجاش

عبد المنعم الهاشمي

دار الأمين
للطبع والنشر والتوزيع
٥٤٥٧٢٦٩

دار الهمة
للتوزيع الكتاب والسرطوني
٥٤٥١٧٦٩

سلسلة

بطولات النبي ﷺ

حجر

ابن حجاش

محفوظة جميع الحقوق

رقم الإيداع
٢٠٠٤/٥٠٧٨
الترقيم الدولي
977-331-271-2

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٧، ١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦ ت: ٥٢٢٢٠٠٢

دار الهمة
للتوزيع والطباعة والنشر والتوزيع

(حَجَـرُ) ابن حجاش

- اخرجوا من بلادي.
- لقد نقضتم العهد الذي جعلت لكم بما هممتم به.
- لقد حللتكم عشراً.
- فمن رُئي بعد ذلك ضربت عنقه.

(محمد رسول الله ﷺ ليهود بني النضير)

هذه الكلمات قالها رسول الله ﷺ لبني النضير ترى لماذا قال لهم اخرجوا من بلادي؟

وما العهد الذي نقضوه وخانوه فجعل رسول الله يغضب منهم كل هذا الغضب؟

ولماذا أجَّلَهُم عشرة أيام فقط ليخرجوا من بلاد المسلمين؟

وماذا فعل ابن حجاش اليهودي؟

وما هي الخيانة التي ارتكبها في حق رسول الله والمسلمين؟

ذلك كله سنعرفه في قصتنا هذه وسيحكيها لنا الحجر، إن كان ينطق!!

عمرو بن حجاش رجل خائن من يهود المدينة، وأنا حجر أسبح بحمد ربي لأن الجبال التي اقتطعت منها تسبح لله سبحانه ـ عزَّ وجلَّ ـ.

ولتسمحوا لي أن أحكي لكم قصتي، فقد حاول هذا اليهودي أن يستخدمني للفتك برسول الله ﷺ.

كنت حجرًا ساكنًا في جدار بيت هذا اليهودي عمرو بن حجاش وعلمت أنه يوم معركة بئر معونة أو يوم القراء الذين قتلوا غدرًا وخيانة، ونجا منهم عمرو بن أمية الضمري وعاد

يبلغ الرسول ﷺ النبأ، وفي الطريق وقبل أن يعود إلى المدينة نزل عمرو بن أمية الضمري في ظل شجرة وجاء رجلان من بني كُلاب، فلما ناما فتك بهما، ظنًّا منه أنه أخذ بثأر أصحابه، ولكن الرجلان كانا من بني عامر، وكان بنو عامر قد أخذوا من الرسول ﷺ عهدًا بالأمان، لم يكن يعرفه عمرو بن أُمية الضمري، فلما جاء إلى المدينة أخبر الرسول ﷺ بما فعل، فقال ﷺ: **«بئس ما صنعت، قتلت رجلين كانا لهما فيَّ أمان وجوار»**.

وأرسل عامر بن الطفيل يطلب ديَّة هذين الرجلين، فخرج الرسول ﷺ في عشرة من أصحابه هم: أبو بكر وعمر، وعثمان وعلي، وطلحة وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن عبادة، قاصدًا ﷺ بني النضير وهم خلفاء بني عامر، يستعين بهم ويطلب مساعدتهم في دية الرجلين.

سمعت دبيب القوم خارج المنزل، فأنا حجر كامن لا أتحرك، وتذكرت أن اليهود كانوا يتآمرون على الإسلام، لكني أعرف أنهم لم يكونوا أصحاب حرب وضرب، بل كانوا أصحاب دسٍّ ومؤامرات، فكانوا يجاهرون بالحقد والعداوة للإسلام، ويختارون أنواعًا من الحيل لإيقاع الإيذاء بالمسلمين دون أن يقوموا للقتال مع ما كان بينهم وبين المسلمين من عهود ومواثيق.

وبعد وقعة أُحد تجرأوا، وبدأت أصواتهم تعلو بالخيانة والغدر فكاشفوا المسلمين بالعداوة، وأخذوا يتصلون بالمنافقين والمشركين من أهل مكة سرًا، ويعملون لصالحهم ضد المسلمين ومنهم بنو النضير، وبنو النضير قبيلة من قبائل اليهود، وفي المدينة عاهدوا الرسول ﷺ على عدم الاعتداء، وعدم نصر عدو له على الإسلام، وكانوا يسكنون في ضاحية بأطراف المدينة، وكنت حجرًا في بيت عمرو بن حجاش الخائن.

وكانت ضاحيتهم في المدينة بها خضرة ونخيل وماء تسمى منطقة العوالي، وقد مضى على عهدهم مع الرسول ﷺ أربع سنوات كاملة قبل أن يحدث ما حدث في هذا اليوم.

يوم بني النضير كنت أطرق السمع وأنا حجر لا أتكلم ولا أسمع ولكني أسوق الحكاية لكم، وعلمت أن الرسول ﷺ يجلس خارج الباب ومعه أصحابه وسمعت أصواتهم وهم يرحبُّون بالرسول ﷺ قائلين: نعم يا أبا القاسم نعينك ما أحببت، مما استعنت به علينا.

سألت نفسي ترى من صاحب هذا الصوت من اليهود وعلمت أنه المنافق حيي بن أخطب، وعرفت أيضًا أن الرسول ﷺ كلَّمَهُمْ أن يعينوه ويساعدوه في دية الرجلين اللذين قتلهما عمرو بن أُمية الضمري - وكان ذلك يجب عليهم حسب بنود المعاهدة بين النبي ﷺ وبينهم، فقالوا: نفعل يا أبا القاسم، اجلس ها هنا حتى نقضي حاجتك.

فجلس إلى جنب جدار من بيوتهم ينتظر وفاءهم بما وعدوا، وجلس معه أبو بكر وعمر وعلي وطائفة من أصحابه.

وخلا اليهود بعضهم إلى بعض، وسول لهم الشيطان الذي كتب عليهم، كانوا يتهامسون ـ أشار أحدهم إليَّ فانزعجت عندما سمعته يقول: أيكم يأخذ هذا الحجر، ويصعد فوق سطح هذا المنزل قليلقه على رأسه يشدخه بها، فنقضي عليه.

فقال أشقاهم عمرو بن حجاش: أنا.

فقال لهم رجل منهم اسمه سلاّم بن مشكم: لا تفعلوا فوالله ليخبرن ويعلمن بما هممتم به، وإنَّه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه.

ولكنهم أصروا على العدوان، وعزموا على الغدر، فامتدت يدي عمرو بن حجاش إلي ورفعني بعنف وبدأ

يصعد سُلَّم داره، كنت أود أن أتحرك وأهرب حتى لا أؤذي النبي ﷺ ولكن الله كان منجيه وحاميه، فقد سمعت أصواتًا تنادي عمرو بن حجاش: بأن محمدًا قد نهض مسرعًا وتوجه إلى المدينة، وعلمت أن جبريل عليه السلام نزل من عند رب العالمين على رسوله الأمين ﷺ يعلمه بما هموا به، فنهض مسرعًا إلى المدينة ولحقه أصحابه، فقالوا: نهضت ولم نشعر بك، فأخبرهم بما همَّت به اليهود.

عاد الرسول ﷺ إلى المدينة وتشاور مع أصحابه ثم أرسل محمد بن مسلمة إلى بني النضير يقول لهم: **«اخرجوا من المدينة ولا تساكنوني بها، وقد أجلتكم عشرًا، فمن وجدت بعد ذلك ضربت عنقه»**.

ولم يجد يهود بني النضير مفرًا من تنفيذ هذا الإنذار والخروج كما أمرهم الرسول ﷺ، فأقاموا أيامًا يتجهزون للرحيل من المدينة خوفًا وجبنًا، لأنهم جبناء يخافون.

لكن رئيس المنافقين ـ عبد الله بن أُبي ـ بعث إليهم وقال لهم: «اثبتوا وتمنعوا، فإنا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم».

وكان كاذبًا ومنافقًا حتى في حديثه مع هؤلاء، وقد تحدث القرآن على كذب هذا الرجل المنافق، بأن لن يخرج معهم ولن يقاتل معهم فقال عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (سورة الحشر: ١١).

قال لهم عبد الله بن أُبَيٍّ كذبًا: «لا تخرجوا من دياركم، فإن معي ألفين يدخلون معكم حصنكم فيموتون دونكم».

وكان كاذبًا منافقًا ففضحه القرآن في سورة الحشر التي نزلت في هؤلاء، حتى إن بعض الصحابة كان يقول عن

سورة الحشر في القرآن سورة بني النضير[1]؛ لأنها فضحتهم وفضحت نفاقهم وكذبهم فقال عزَّ وجلَّ: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ﴾ (سورة الحشر: ١٢).

ولما سمع يهود بني النضير حديث المنافق عبد الله بن أُبي عادت إليهم ثقتهم، واستقر رأيهم على المناوأة، وطمع رئيسهم حيي بن أخطب فيما قاله رأس المنافقين، فبعث إلى رسول الله ﷺ متحديًا وهو يقول: إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك.

فلما بلغ رسول الله ﷺ جواب حيي بن أخطب كبَّر وكبَّر أصحابه، ثم نهض لمحاربة القوم، فاستعمل على المدينة صاحبه عبد الله بن أُم مكتوم وسار إليهم، علي بن أبي

---

(١) قول ابن عباس، وانظر: «سيرة ابن هشام» (جـ٢، ص١٩٠)، و«زاد المعاد» (٢/ ٧١، ١١٠)، و«صحيح البخاري» (٢/ ٥٧٤-٥٧٥).

طالب يحمل اللواء، فلما انتهى إليهم فرض عليهم الحصار والتجأ بنو النضير إلى حصونهم يجتمعون بنا نحن معشر الحجارة، فصعدوا من فوقها يرمون المسلمين بالنبل والحجارة، وكانت نخيلهم وبساتينهم عونًا لهم في ذلك، فأمر النبي ﷺ بقطعها وتحريقها، وهذه النخيل والبساتين كانت تسمى البويرة ولذلك أنشد حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ يقول:

وهان على سَرَاة[1] بني لُؤيٍ ... حريق بالبويرة مستطير

ولما علت النيران تحرق النخيل قذف الله في قلوبهم الرُّعب وحبهم للمال جعلهم يقولون بصوت عال: «يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد، وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخل وتحريقها؟».

---

(١) سراة: بمعنى أشراف.

أرادوا أن يستدروا عطف المسلمين، ولما تأثر المسلمون بهذا الكلام نزلت الآية الكريمة: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ۝٥ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة الحشر: ٥-٦).

واعتزلتهم قريظة وهم بنو عمومتهم من اليهود، وخانهم عبد الله بن أبي وحلفاؤهم من غطفان، فلم يحاول أحد أن يسوق لهم خيراً، أو يدفع عنهم شراً.

ولم يطل الحصار، فقد دام ست ليال فقط، ويقول البعض خمس عشرة ليلة ـ حتى قذف الله في قلوبهم الرعب، فاندحروا وتهيأوا لإلقاء السلاح، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ: نحن نخرج من المدينة، فأنزلهم على أن يخرجوا عنها بنفوسهم ودمائهم.

وقال ﷺ : «لكم دماؤكم وما حملت الإبل».

فوافقوا على ذلك، وخربوا بيوتهم بأيديهم، ليحملوا الأبواب والشبابيك، حتى حمل بعضهم الأوتاد وجذوع السقف.

ثم حملوا النساء والصبيان، وتحملوا على ستمائة بعير، فترجل أكثرهم وأكابرهم كحيي بن أخطب، وسلام بن أبي الحقيق إلى خيبر، وذهبت طائفة منهم إلى الشام، وأسلم منهم رجلان فقط هما: يامين بن عمرو، وأبو سعد بن وهب فأخذا أموالهما.

وأخذ رسول الله ﷺ سلاح بني النضير، واستولى على أرضهم وديارهم وأموالهم، فوجد من السلاح خمسين درعًا، وثلاثمائة وأربعين سيفًا، وكانت أموال بني النضير وأرضهم وديارهم خالصة لرسول الله ﷺ، يضعها حيث يشاء، وقسمها بين المهاجرين الأولين خاصة لأنهم تركوا

أموالهم في مكة وهاجروا في سبيل دينهم، وأعطى أبا دجانة الأنصاري وسهل بن حنيف الأنصاريين لأنهما كانا فقراء.

وكان ﷺ ينفق من هذه الأموال على أهله نفقة سنة، ثم ينفق ما بقي على السلاح والخيل والإبل ليعد العدَّة في سبيل الله.

وكانت غزوة بني النضير في ربيع الأول سنة ٤هـ وأنزل الله في هذه الغزوة سورة الحشر كاملة، فوصف طرد اليهود، وفضح مسالك المنافقين، وأثنى على المهاجرين وكذلك الأنصار.

أما أنا فمكثت صامتًا كصمت الحجارة، وصاحبي عمرو ابن حجاش انهزم هزيمة نكراً، وبقيت دعوة النبي ﷺ قائمة عزيزة منتصرة إلى يوم الدين لن يمنع مسيرتها حجر بن حجاش ولا عبد الله بن أُبي المنافق الكبير ولا أتباعه من المنافقين.

نشاطات تعليمية

١ ـ لماذا خرج الرسول ﷺ إلى بني النضير؟

.....

٢ ـ ما هي مؤامرة اليهود التي أرادوا القيام بها؟

.....

٣ ـ من الذي أبلغ الرسول ﷺ بمؤامرتهم؟

.....

٤ ـ من هو القائد المسلم الذي أرسله النبي ﷺ لإنذارهم؟

.....

٥ ـ اكتب في هذا المستطيل رسالة الرسول ﷺ ليهود بني النضير؟

.....

.....

.....